



الثورة الثقافية وإشكالية التنمية في الجزائر،

قراءة فلسفية في فكر عبد الله شريط

Cultural Revolution and the Problem of Development in Algeria: A Philosophical Reading of Abdullah Shareet's Thought.

زينب بومهدي*

جامعة الجيلالي بونعامة، خميس مليانة-الجزائر

z.boumahdi@univdbkm.dz

تاريخ النشر:

2025-06-03

تاريخ القبول:

2025-06-01

تاريخ الإرسال:

2025-02-17

ملخص: تعد مشكلة التنمية والثورة الثقافية أحد أهم القضايا التي شغلت الساحة الفكرية الجزائرية وشغلت المفكر عبد الله شريط تحديداً وأخذت حيزاً هاماً من فلسفته ونشاطه الفكري حيث ألف العديد من الكتب التي تناول فيها هذه القضية، وما الكتب التالية من واقع الثقافة الجزائرية، تاريخ الثقافة والأدب في المشرق والمغرب إلا دليل ذلك.

وعليه تهدف هذه الورقة البحثية إلى تسليط الضوء على أحد أبرز المشكلات الفلسفية الراهنة وهي مشكلة الثقافة والتنمية في الجزائر وهذا من خلال ما طرحه المفكر الموسوعي عبد الله شريط، هذا الذي تعددت جوانب فلسفته بين السياسي والتربوي والتعليمي وكذا الثقافي والتاريخي وحتى الديني، إذ كان له في كل مجال موقف ورأي، وفي كل مشكلة فكرية يحاول البحث فيها وإيجاد حلول لها وقضية التنمية إحدى هذه القضايا.

كلمات مفتاحية: عبد الله شريط، الثقافة، التنمية، الثورة الثقافية، النخبة.

Abstract: The issue of development and cultural revolution is one of the most important topics that have occupied the Algerian intellectual scene, particularly engaging the thinker Abdullah Shareet. It played a significant role in his philosophy

* المؤلف المرسل

and intellectual activity, leading him to author several books addressing this issue. Among these are "The Reality of Algerian Culture" and "The History of Culture and Literature in the East and the Maghreb," which clearly reflect his focus on this subject.

Accordingly, this research paper aims to shed light on one of the most pressing contemporary philosophical issues: the problem of culture and development in Algeria, as presented by the encyclopedic thinker Abdullah Shareet. His philosophy spans various fields, including politics, education, culture, history, and even religion. In each of these areas, he held distinct views and opinions, consistently seeking to explore intellectual problems and provide solutions. The issue of development is one such problem he extensively addressed.

Keywords: Abdullah Shareet ; Culture ; Development; Cultural Revolution ; Elite

1-المقدمة: يعد المفكر عبد الله شريط أحد أهم الرموز الفكرية في الساحة الثقافية التي ساهمت في بناء هذا الفكر النهضوي وهذا من خلال الإنتاج الفلسفي الذي تضمنه مشروعه الثقافي الذي كان يطمح من خلاله إلى النهوض بالثقافة والفكر في بلدنا والخروج من نفق التخلف، وهذا بتشخيص الداء أولا وتقديم الدواء ثانيا، وهذا بالتركيز على المسألة الثقافية باعتبار أن الثورة الجديدة المطلوبة منا اليوم ليست بالثورة الحربية التي قام بها أسلافنا في كفاحهم ضد المستعمر الفرنسي، هي معركة ثقافية بالدرجة الأولى يكون سلاحها التربية والتعليم واللغة حتى تحدث التنمية، وهذا ما سنحاول الخوض فيه في هذه الدراسة من خلال الإجابة على الإشكالية التالية: ماهي سبل واليات التنمية في نظر عبد الله شريط؟ كيف يمكن للثقافة والثورة الثقافية أن تكون أساس التنمية في الجزائر؟

ونروم من خلال هذا البحث تحقيق جملة من الأهداف وهي: أولا تحليل مفهوم الثورة الثقافية كما قدمه عبد الله شريط من جهة وعلاقة هذا المفهوم بالتنمية، كما يسعى البحث أيضا إلى استكشاف التحديات التي تواجه التنمية في سياق الثورة الثقافية، إن البحث في مثل هذه القضايا يفرض علينا المنهج التحليلي نفسه وهذا لفهم القضايا الفكرية التي طرحها عبد الله شريط.

2- مفهوم الثقافة في الخطاب الفكري لعبد الله شريط: تتحدد الثقافة في أي مجتمع من المجتمعات بمجموعة من آليات، ولهذا يختلف المفكرون في تعريفها وفي تحديد آلياتها إذ نجد الانثربولوجي الايطالي ادوارد تايلور يعرفها كما يلي: "هي المركب الذي يضم المعرفة والاعتقاد والفن والأخلاق والقانون والأزياء وكل الملكات الأخرى والعادات التي يكتسبها الإنسان من حيث هي عضو في المجتمع"¹ بهذا المفهوم والقراءة تؤخذ الثقافة بمعنى شمولي للمعرفة ولا تخص جانب من جوانبها فقط، فهي كل ما ينتجه الإنسان من خلال علاقاته الاجتماعية مع باقي جنسه لهذا فالثقافة لا تعني الإنتاج العلمي أو الأدبي أو الديني فقط بل حتى الأعراف والتقاليد ومنظومة العادات هي ثقافة مجتمع ومنه نقول أيضا أن "الثقافة هي جملة الأفكار والمعارف والمعاني والقيم والرموز والمشاعر والانفعالات والوجدانيات التي تحكم حياة المجتمع في علاقاته مع الطبيعة والمادة، وفي علاقات أفرادهم ببعضهم وبغيرهم من المجتمعات وبهذه الألوان من الفكر والمعاني والتعبير يتميز المجتمع الإنساني باعتباره صانعا وناقلا لعناصر الثقافة جيلا بعد جيل"².

من بين أهم المفكرين الجزائريين الذين اهتموا بمسألة الثقافة كمشروع حضاري وفكري حمله في كل مؤلفاته، المفكر الموسوعي مالك بن نبي إذ عرفها على أنها علاقات متبادلة بين أفراد المجتمع فهو يقول أن "تعدد وجوه الثقافة لا يساعدنا في تعريفها على أنها "شيء" بل على أنها علاقة متبادلة، هي العلاقة التي تحدد السلوك الاجتماعي لدى الفرد بأسلوب الحياة في المجتمع كما تحدد أسلوب الحياة بسلوك الفرد"³.

لا يخرج هذا التعريف عما طرحناه سابقا وهو أن الثقافة هي ذلك التفاعل المتبادل بين بني البشر في إطار سلوك اجتماعي قائم التأثير والتأثر، إذن الثقافة صورة للقيم الاجتماعية التي تحيط بالإنسان وهذا ما عبر عنه مفكرنا عبد الله شريط حين

اعتبر أن الثقافة هي المدرسة والكتاب والجرائد وحتى المحاضرات في الجامعة وكذا العادات والتقاليد الموجودة في المجتمع، هي الأخلاق والاقتصاد، هي هذا الكل المتكامل الذي يمس كل جوانب الإنسان.

3- مشكلات الثقافة والمثقف في المجتمع الجزائري: تتحدد هوية المجتمعات من خلال ثقافتها وإنتاجها الحضاري لأنها تظهر صورة المجتمع وحينما تطرح إشكالية الثقافة فهذا يعني وجود عدة مشكلات يعيشها هذا المجتمع، ومن هنا نجد أن إشكالية الثقافة طرحت من قبل الكثير من المفكرين الجزائريين لأنهم لاحظوا وجود معضلات على مستوى المجتمع ليتولد السؤال حول ماهية الثقافة ومكوناتها ومشكلاتها ودور المثقف في المجتمع الإسلامي بصفة عامة والجزائري بصفة خاصة، فمالك بن نبي وضع على عاتق المثقف دور كبير في عملية البناء الحضاري وهذا من خلال التعليم وخلق الوعي الاجتماعي لدى النشئ بالوضعية اللاحضارية التي نعيشها، أما عبد الله شريط فكان اهتمامه بالثقافة لا يختلف كثيرا مالك بن نبي حيث أفرد لهذه المشكلة مؤلفا خاصا حمله عنوان: **من واقع الثقافة الجزائرية** والذي حاول من خلاله تشريح أزمة الثقافة في الجزائر ومنه خلص إلى أن الأزمة التي يعيشها المجتمع الجزائري هي أزمة ثقافة بالدرجة الأولى .

إذن مشكلة الثقافة تأخذ عدة أبعاد معه فهي من جهة أزمة مجتمع ومن جهة أخرى أزمة مثقف وهذا راجع إلى وجود ثقافة محلية بحاجة إلى تطويرها والحفاظ عليها وأخرى وافدة لابد من فحصها وغربلتها فنحن مطالبين بتشخيص الداء لتقديم العلاج وهذا ما سيقدمه لنا شريط برويته للثقافة الوافدة وما تحمله معها من أفكار جديدة، هي تحمل في الوقت ذاته أفكار غريبة عن المجتمع تقضي على القيم المحلية وخاصة ما تعلق منها بالأخلاق باعتبار أن أمريكا والدول الغربية تسعى إلى تصدير جانب من

ثقافتها وفكرها وفنا إلى مجتمعاتنا، وهذا الجانب يوقظ فينا غريزة التمتع والشهوات بدلا من ايقاض جانب العمل والإبداع الموجود فينا.

انطلاقا من هنا رأى عبد الله شريط ضرورة الاهتمام بالثقافة المحلية وهذا عن طريق الاهتمام بالمفاهيم المحلية في مقابل المفاهيم الوافدة من الثقافة الغربية هذا الاهتمام يستوجب المساهمة الفعالة في تحقيق ثقافة أصيلة تعود إلى كل ما هو محلي في هذا المجتمع من جهة، وإبداعية في الوقت نفسه، لكن للأسف هذا ما لم تستطع المجتمعات العربية تحقيقه، كما علينا أن لا ننسى أن الثقافة في المجتمع الجزائري ونظرا لتأثرها بالثقافة الفرنسية وهذا بحكم الاستعمار الفرنسي أصبحت هجينة وهي التي أدت إلى بروز هذه الإشكالية من خلال ما طرح مع النخبة المثقفة المنقسمة بين التيار الفرانكفوني والتيار العربي الإسلامي.

إن هذه الأزمة تعود بالدرجة الأولى إلى مدى اهتمامنا بالإنسان باعتباره العنصر المهم والفعال في تشكيل وبناء الثقافة فالفرد في مجتمعنا من وجهة نظر عبد الله شريط هو بحاجة إلى إعادة الاعتبار لدوره في المجتمع فهذا الأخير أدى دوره في فترة الثورة التحريرية لأنه هم الاهتمام به باعتباره السلاح الفعال في تحرير الوطن، اعتمدت الجزائر خلال ثورتها المباركة على مبدأ أساسي وهو أن يسلح الرجل نفسه بنفسه من سلاح العدو الفرنسي، وكان شرطا ضروريا في قبول كل من يتطوع من الجهاد في سبيل تحرير الوطن، وفلسفة هذا المبدأ معناها نحن نصنع الرجال أولا ونعتمد على الإنسان أولا باعتباره هو من يخلق السلاح ويعمل على إيجاداه بكل السبل وليس السلاح هو من يصنع الجندي المحارب والقاهر للعدو⁴.

بهذه الطريقة حقق المجتمع الجزائري انتصارات على العدو الفرنسي، السؤال المطروح هنا هل بقي الإنسان الجزائري يحضى بنفس الاهتمام والقيمة بعد الاستقلال؟ سيجيبنا الدكتور شريط بأن الفرد الجزائري فقد قيمته، أي الإبداع الذي كان هو مصدره

سيختفي فبعد حرب التحرير، تغير المبدأ وتغير ومفهومنا له إذ أصبحت الآلة هي الأساس وأهم الإنسان ليصبح بذلك السلاح أهم من الجندي بعدما كان الجندي هو صانع وحامل السلاح ، أصبحنا نحن أيضا نعمل بعكس هذا المبدأ وهو أن نعتمد على هذه الآلة الجاهزة والمصنع ونهمل الإنسان، وأصبح السلاح أهم من الجندي، لم نكتفي بهذا القدر من إهمالنا للإنسان، وإنما زدنا الطينة بلّة فمع التطور الذي عرفه مجتمعنا أصبح الإنسان المسير للآلة أهم من الإنسان المكون للبشر، وهنا حدثت الأزمة الحقيقية فبدلاً من الاهتمام بالإنسان وتطويره عملنا على إهماله في مقابل اهتمامنا بهذه الآلة، التي لم نشارك في صنع ولو جزء بسيط منها، بل قمنا بشرائها من الدول المصنعة لها وهذا استثمار فاشل⁵.

حتى نحدث ثورة ثقافية نحن بحاجة إلى إعادة بعث إنسان جزائري جديد هذا من جهة ومن جهة أخرى علينا التغلب على الانغلاق الثقافي الذي نعيشه والصراع الثقافي الذي يعيشه المثقف، فالحل يتطلب أن يؤدي كل دوره على أكمل وجه، إذن الدور المطلوب يقتضي تجاوز عدة مشكلات تتمثل في اللغة والهوية، مشكلة التربية والتعليم، هي مشكلات ومفاتيح للحلول في الوقت ذاته نحن بحاجة إلى تشخيصها والانطلاق منها لإحداث التنمية المنشودة، وهذا ما سنوضحه في العنصر التالي.

4- مفهوم التنمية وأساليبها من منظور عبد الله شريط:

4-1 في مفهوم التنمية: تعرف التنمية في اللغة على أنها مأخوذة من نَمَى الشيء نمواً، ومعناه الزيادة فهي "نمى المال نمواً أي زاد وكثر"⁶، وتعني التنمية في المفهوم الاجتماعي لها هي مجموع "الجهود التي تبذل لإحداث سلسلة من التغيرات الوظيفية والهيكلية اللازمة لنمو المجتمع عن طريق زيادة قدرة أفراد المجتمع على استغلال الطاقة المتاحة إلى أقصى حد ممكن لتحقيق أكبر قدر من الحرية والرفاهية للأفراد وبأسرع معدل للنمو الطبيعي"⁷، من هنا نفهم أن التنمية ماهي إلا بناء اجتماعي يكون ضمن

سياسة معينة تهدف إلى تحقيق التطور الذي تنشده المجتمعات وتأكيدا لهذا يعتبرها علماء الاجتماع بأنها الأساس في تحقيق التطور الاجتماعي والاقتصادي الذي تسعى إليه كل المجتمعات سواء محلية أو قومية، كما أن العملية التنموية تتطلب مجهود حكومي حتى تضمن النجاح⁸.

انطلاقا من هنا تصبح التنمية بمثابة الصورة للتغيير الاجتماعي وكذا الثقافي الذي تحققه الشعوب كما لا ننسى أنها عبارة عن عملية "تحريك علمي مخطط لمجموعة من العمليات الاجتماعية والاقتصادية من خلال عقيدة معينة لتحقيق التغير المستهدف بغية الانتقال من حالة غير مرغوب فيها إلى حالة مرغوب فيها"⁹.

تتعدد التعريفات وتختلف من تخصص إلى آخر لكن الأمر المتفق عليه هو أن التنمية في أي مجتمع من المجتمعات هي غاية تسعى إليها هذه الأخيرة، والإنسان هو وسيلة تحقيق هذه الغاية، إذ أصبحت التنمية اليوم هي مقياس تقدم الدول وتخلفها ومنه فهي "عملية تغيير مقصودة وواعية للهياكل الاقتصادية والاجتماعية والثقافية القائمة في المجتمع المتخلف بلوغها لمستويات أعلى من حيث الكم ومن حيث النوع لإشباع الحاجات الأساسية لغالبية أفراد المجتمع"¹⁰.

4-2 أساليب التنمية: باتت التنمية في المجتمع الجزائري من أهم القضايا الواجب البحث فيها وحينما نتحدث عن التنمية نقصد تنمية ثقافية واجتماعية واقتصادية وحتى سياسية، وهذا لأنها عرفت إخفاقات متعددة منذ الاستقلال في ظل معطيات تميزت بتحديات أمنية وغذائية، رغم أن الجزائر كبلد تمتلك ثروة باطنية ومساحة شاسعة وهذه الثروة الباطنية المتمثلة في النفط أعطت شعورا بأننا يمكن أن نحدث تنمية اقتصادية، لكن حينما نعود إلى الواقع نجد أننا لم نحقق التنمية المنشودة.

• عايش المفكر عبد الله شريط التجربة الاشتراكية الجزائرية وما عرفته من انجازات وإخفاقات، وهذا باعتباره أحد رموز الثقافة والفكر في الجزائر، ومن خلال كتاباته

الفلسفة والتي قال عنها هو "تطرقنا إلى الكشف عن بعض أوجه نقائصنا سواء في المعتقدات الدينية أو الانحرافات السياسية والاجتماعية أو المفاهيم الثقافية المغلوطة أو الاعوجاجات النفسية المريضة"¹¹.

رأى الدكتور شريط أن النظام الأنسب لأي دولة حققت استقلالها حديثا والجزائر هي إحدى هذه الدول، ودعا في مؤلفاته إلى ضرورة تعليم الناس هذا النظام ومبادئه الصحيحة وتبيان أن هذا النظام اقتصادي لا يتعارض مع الدين الإسلامي إذ تظهر رؤيته الاشتراكية الإسلامية من خلال هذا القول: "يجب أن نكون اشتراكيين في الاقتصاد وفي التنظيم الاجتماعي والسياسي ولكننا نحافظ على ثروتنا الروحية التي جاءنا بها الإسلام والتي نعتز بها ونعمل على تطويرها، نعلن هذا لشبابنا المفتون بالاشتراكية ونعلمه لأبنائنا بكل وضوح وبساطة في المدارس فخرج أجيالنا الحاضرة والمقبلة من موقف التذبذب"¹² هذه دعوة من مفكرنا إلى ضرورة التسلح بثقافة العصر من جهة وبالثقافة الدينية من جهة أخرى وهذا لن يكون إلا بتوعية الشعب وتنقيفه و مصارحته أيضا كيف تأسس هذا النظام الاقتصادي وكيف بني على مبادئ علمية، كما أن دعوته هذه لا تدعو إلى تقديس الاشتراكية كنظام وأن مبادئها لا تقبل النقد أو المناقشة بل الأجدر بنا معرفتها ومناقشتها أيضا ¹³.

• لن نتحقق التنمية في المجتمع الجزائري وحتى العربي إلا إذا كان هناك فكر فلسفي فعال يؤدي دوره في التنمية المجتمعية رغم أن الفلسفة في مجتمعنا و للأسف لا تؤدي أي دور في البناء و التنمية، وهو يتحدث عن أهمية الفكر الفلسفي في معالجة قضايا المجتمع باعتباره تفكير راقى متطور، وهذا من خلال الحديث عن الفلسفة الغربية ودورها في معالجة القضايا التي كانت مطروحة وهو يقول في هذا: فمنذ الفلسفة اليونانية إلى غاية الفلسفة المعاصرة ومنذ أفلاطون وصولا إلى برتراند راسل وحتى سارتر كانت محاولاتهم لجعل المبادئ الأخلاقية ضمن الأسس التي تبنى عليها السياسة العامة

للبلاد، وضمن المبادئ التي لا بد أن يتحلى بها الساسة في حد ذاتهم، إن هذه المحاولات في نظر شريط لم تكن يوما فكرة أو دعوة عابرة بل كانت دعوة لتصبح قاعدة يسير عليها المجتمع الغربي، كما يؤكد لنا في كل مرة على الدور الذي تلعبه الفلسفة في تطوير الإنسان والمجتمع، وهذا ما أدركته المجتمعات المتقدمة رغم ما وصلت إليه من تطور علمي وتكنولوجي ولكنها تعود كل مرة لتؤكد من ضرورة البحث الفلسفي، لأنه أساس تقدم العلم من خلال الأسئلة والإشكاليات التي يثيرها الفيلسوف حول نتائج العلم وفروضة و منطلقاته، لكن للأسف لم تحض الفلسفة في مجتمعنا بنفس القيمة بل ينظر إليها على أنها مجرد لغو وثرثرة لا فائدة مرجوة منها ¹⁴ .

• من بين أهم القضايا الإشكالية التي طرحت للنقاش في المجتمع الجزائري بعد الاستقلال مسألة التعريب التي كان لعبد الله شريط رأي فيها من خلال مؤلفاته وخاصة كتاب من واقع الثقافة الجزائرية والذي صدر سنة 1981، وهو كان عبارة عن مجموعة من المقالات كان قد كتبها بين سنوات 1968 إلى 1970 عالج من خلالها مشكلات تخص الثقافة في المجتمع الجزائري عايشها هو في حد ذاته وكما هو معلوم عند كل باحث مهتم بالفكر الجزائري أن الخلاف كان منذ البداية بين المثقفين حول مسألة التعريب وانقسموا اتجاهين واحد مناصر للتعريب بحكم فخر الانتماء إلى الثقافة العربية الإسلامية واتجاه ثاني متأثر بالثقافة الغربية والفرنسية تحديدا يطالب بإبقاء اللغة الفرنسية لغة المؤسسات الرسمية ولغة للتعليم باعتبارها لغة العلم و الأدب والثقافة في ذلك الوقت، وبين هذا وذاك يظهر اتجاه آخر كان يدعو إلى إشاعة العامية وترسيخ اللهجات المحلية في حين أن مفكرنا كان يصر دوما على أن نهضة الجزائر تكون بتعميم التعريب وعبر عن هذا بأن الثقافة الشعبية حتى تتحقق في مجتمعنا تستوجب اللغة الأصلية أو لغة ذلك الشعب، لأنه لا يمكن تحقيقها بالاعتماد على لغة أجنبية أخرى، هذه الخطوة الأولى وجب علينا الانطلاق منها، وبما أننا نتحدث عن الشعب

الجزائري فاللغة الواجب الاعتماد عليها هي اللغة العربية، أما الخطوة الثانية فهي محاربة الأمية، ويحاول عبد الله شريط جاهدا أن يميز لنا بين اللهجات المحلية والتي يرى فيها أنها ليست بلغة الثقافة، كما أنها ليست اللغة الوطنية من حيث الشمول الجغرافي، في حين أن اللغة العربية تحوز هذه الصفات، وهو يربط بين ظهور ما يسمى بالثقافة الشعبية و بين سيطرة اللغة الفرنسية في فئة كبيرة وهامة من المجتمع الجزائري هذه السيطرة هي من حرمته من لغته الوطنية لمدة طويلة من الزمن تجاوزت القرن، كل هذا كان له أثر في استبعاد اللغة العربية¹⁵.

لا يمكن لأحد أن ينكر ذلك الصراع اللغوي القائم في المجتمع الجزائري فوجود لغتين واحدة لغة الهوية والثانية لغة بقايا الاستعمار، ما أدى إلى ظهور اتجاهين للنخبة المثقفة قال عنها عبد الله شريط: بأنهم فئتين من المثقفين واحدة تتكلم اللغة العربية والثانية تتكلم اللغة الفرنسية، ورغم أن الفئة الثانية ارتبطت بمجتمعها عاطفيا وشعوريا وذلك من خلال ما قدمته من إنتاج ثقافي وفكري، لكنها بقيت بعيدة عن هذا الشعب لأنها خاطبته بلغة ليست لغته و من نماذج هذه الفئة يذكر لنا عبد الله شريط مولود فرعون و مولود معمري ومالك حداد وكاتب ياسين، فكل واحد من هؤلاء حاول إظهار معاناة الشعب الجزائري وخاصة الطبقة الكادحة فجاء تصويرهم الأدبي والفني رائعا للغاية، لكن السؤال الذي يطرح نفسه علينا هل هذه الطبقة تفقه ما يكتبه هؤلاء؟ وهل يمكن لهم قراءة ما يكتب عنهم؟ طبع لا، لأن هته الطبقة لا تتقن اللغة الفرنسية ومن ثم اشتهر هؤلاء الكتاب في أوروبا أكثر من معرفتهم في بلادهم الأصلي، أما عن الفئة الثانية وهي التي تتكلم اللغة العربية، وهي أيضا كان لها نفس العاطفة والشعور تجاه أبناء وطنها وتجاه معاناة الطبقة الكادحة فيه والتي تعاني الحرمان والأمية، ولكن ورغم مخاطبته بنفس اللغة - اللغة العربية - إلا أنها لم تستطع تحقيق التواصل بينها وبين هذه الطبقة¹⁶.

قلنا أن هذا النقاش بين أنصار التعريب وأنصار التغريب المفرنسين ظل لسنوات طويلة وعرف نقاش حاد قال عنه عبد الله شريط: إن التعريب في بلادنا ظل لسنوات طويلة محل جدل بين المفكرين وخاصة سنوات الستينات دون أن يسمع أي طرف للطرف الآخر وهذا أكبر دليل على التعصب الفكري الحاصل، فالنقاش الفكري يستوجب الحوار الجاد ومن شروط الحوار أن يتسم بالهدوء في النقاش، لكن هذا ما لم نلمسه في السجال الذي عرفته الجزائر في فترة من تاريخها بين المعربين و المفرنسين وخاصة حول قضية التعريب باعتبارها من أهم القضايا التي حدث حولها الاختلاف بين المثقفين، وبقي كل طرف يحاول أن يقنع أمثاله بحجج عاطفية¹⁷.

رغم أنه كان يدعو إلى ضرورة النقاش الهادئ والهادف إلا أنه رجحت الكفة معه إلى الدفاع عن اللغة العربية والتعريب، ورأى ضرورة تطويرها لأنها ليست باللغة الميتة والدليل أنها كانت لغة علم وحضارة لزمان طويل وهذا لما تحمله من مزايا استطاعت على مر التاريخ أن تحافظ على جوهرها و كيانها على الرغم من تعرضها عبر العصور إلى الكثير من النكبات وحتى في عصور الانحطاط الفكري والثقافي الذي شهده العالم العربي والإسلامي بقيت اللغة العربية محافظة على وجودها ولم تختفي أو تندثر مثل ما حدث مع الكثير اللغات، ونعود ونؤكد على ضرورة الدفاع عن اللغة العربية وتطويرها وهذا هو بداية الثورة الثقافية التي من خلالها نثبت هويتنا وثقافتنا الأصيلة.

إذن لا يمكن لهذا المجتمع أن يحدث نهضته بعيدا عن لغته الأصيلة ولهذا بات التعريب ضرورة ملحة في مجتمعنا من وجهة نظر عبد الله شريط علينا كنخبة مثقفة أن نحاور شعبنا باللغة العربية ولكن ما هو مصير اللغة الفرنسية؟ يجيبنا عبد الله شريط أن هذه اللغة هي أداة إضافية يمكن الاعتماد عليها لكي نتعرف على العلم والأدب والثقافة الغربية "فالمسألة المتعلقة ببقاء الفرنسية وتعليمنا... فليس فينا- على ما أعلم

- من ينكر أنه لا بد لنا من الاتصال بالعالم المتحضر الذي يقود البشرية اليوم لأننا متصلون بهذا العالم شئنا أم أبينا، وقد كتب لنا - أو علينا - أن تكون الأداة التي تربطنا به هي اللغة الفرنسية"¹⁸ .

استطاع عبد الله شريط بفكره وثقافته الواسعة أن يشرح مشكلة المثقفين الجزائري على اختلاف توجهاتهم وأبرز لنا تلك الهوية السحيقة بينهم وبين الشعب فالمشكلة لا تخص أصحاب التيار الفرونكفوني فقط فهي تشمل أنصار التيار العربي الإسلامي لأن "منقف العربية اليوم يعيش في أرض ثقافية قاحلة، وإن كانت تربتها جيدة، ولكن الإهمال وتراكم الجذور الميتة جعلها وجعل أصحابها يعيشون على خشاش من الثقافة هو أقرب إلى الكلمات والألفاظ منه إلى الفكر"¹⁹، بين هذا وذاك اتسعت الفجوة بين المثقف والشعب وأصبح خطاب المثقف بغض النظر عن توجهه الفكري والإيديولوجي عبارة عن كلمات تحملها كتب وصحف ومجلات و هنا نقول أن هؤلاء لم يستقد من ثقافتهم المجتمع الجزائري سواء كانت عربية أو فرنسية.

• في مشروعه الحضاري والفكري أكد عبد الله شريط على أهمية كل من التعليم وكذا الثقافة لأنها هي التي تؤسس لمجتمع حضاري وتعمل على تطويره فمن بين " أهم العوامل الحضارية التي تؤثر في العقل، صناعة الخط، والخط أو الكتابة هي أبلغ وسائل التنمية العقلية وكلما كانت هذه المهنة رديئة كلما تأثرت الثقافة بهذه الرداءة "²⁰.

تقاس حضارة الأمم بعدة مقاييس أحدها رقي الكتابة لأن المعنى مرتبط بها وسوء الفهم ينعكس على المنظومة الفكرية والعلمية للمجتمع وهذا ما أكد عليه الدكتور عبد الله شريط حين قال: " رقي الكتابة صورة في الحضارة برمتها ورداءتها صورة للانحطاط الحضاري"²¹، من خلال هذا القول وأقوال أخرى لم نذكرها نفهم أن عبد الله شريط أكد في الكثير من مؤلفاته على ضعف التعليم في بلادنا، هذا الضعف يخص المناهج

وحتى المقررات الدراسية و تعود أسباب ضعف هذه المناهج إلى كثرة التأليف في فن أو مجال واحد وبعدها مطالبة الطالب باستحضار كل ما قدم له من معارف، فيعمل على تلخيصا وحفظها وفي هذه الحالة نصبح أمام طالب حفظ كل المناهج دون أن يفهم منها شيئا²² .

كان الدكتور عبد الله شريط يعتقد كغيره من المفكرين العرب أن الشعوب العربية بصفة عامة والجزائر بصفة خاصة لا يمكن لها أن تحقق التنمية دون الاستثمار في العنصر البشري، أي الإنسان لأن فلسفة التنمية في كل جوانبها الاجتماعية والاقتصادية وحتى السياسية تتطلب نقل المعرفة وبناء الإنسان وتنميته بدلا من نقل الآلة والمصنع، غير هذا لن يحصل إلا عن طريق التربية والتعليم الصحيح في المجتمع وهذا ما أكده كبار الفلاسفة في نظرياتهم التربوية من أفلاطون في الفلسفة اليونانية إلى ابن خلدون في الفلسفة الإسلامية إلى جون ديوي في الفلسفة المعاصرة، كذلك نجد في الفكر العربي الحديث طه حسين من خلال مشروعه الحداثي ركز على أهمية التربية والتعليم، كما أكد على دور الدولة في توفير كل الشروط المساعدة على بناء مجتمع معرفي وهذا ما سنجده في مشروع عبد الله شريط فنحن بحاجة إلى ثورة ثقافية تضاهي الثورة التحريرية التي خاضها الشعب الجزائري وخرج منتصرا فيها على أقوى الجيوش في العالم.

لا يقاس نجاح التعليم من خلال استيراد نظم تربوية وتعليمية جاهزة من الغرب دون إنتاج برامج تعليمية تتوافق مع طبيعة هذا المجتمع، هذا ما دعا إليه عبد الله شريط و سعى إلى تحقيقه من خلال ما نظر إليه في الكثير من مؤلفاته فهو يرى أن "المدرسة الوطنية يجب أن تؤسس برامجها وموادها المدرسة انطلاقا من واقعها، أما من تعمل على استيراد البرامج و الأفكار الجاهزة، فهي ليست مدرسة ثورية ولا يمكن لنا أن نبني من خلالها دولة متقدمة، كيف لا وهي تحمل رؤى جاهزة وآفاق مجتمع غير المجتمع الجزائري. قلنا أن الجزائر بلد فتي عرف الاستقلال والحرية وهو الآن بحاجة إلى ثورة

ثقافية تكون المدرسة جزءا مهما في تحقيقها وهذا عن طريق إحداث تغيير شامل للواقع الذي نعيش فيه، إن هذا التغيير الجذري يتطلب منا ضرورة العودة إلى تراثنا لا من أجل التغني به بل من أجل إعادة إحيائه وتطويره لخدمة المجتمع ككل بغية تحقيق الازدهار المادي والمعنوي الذي تطمح إليه كل الشعوب والمجتمعات.

• حتى تتحقق التنمية في أي مجتمع لابد من أن تكون هناك شروط لذلك تتمثل في وجود نخبة مثقفة متمثلة في العلماء وكذلك المثقفين، ويلعب المثقف دور هام في إنجاح التنمية لأن المشكلة اليوم هي مشكلة ثقافة وأزمة مثقف وهذا ما وضحه لنا عبد الله شريط حين قال: "النتيجة التي خرجت بها من تفكيري هي أن كل مشاكلنا وعيوبنا التي تفضحنا بدون شفقة، مرده إلى مشكلة الثقافة، أعني الثقافة بأوسع معانيها: المدارس والكتب والصحف والمحاضرات والعادات والتقاليد ومفاهيمنا للسياسة والاقتصاد والأخلاق، ومشاكل التربية وتناقض الأجيال وتنازع الأفكار"²³.

والثقافة التي كان يرنو إليها مفكرنا هي الثقافة الثورية وهذا باعتباره جزائري ثوري، ثقافة تحرر الإنسان من كل القيود التي يمكن لها أن تعيقه نحو بناء مجتمع متقدم، وهو يرى أن الثقافة الثورية هذه تتميز عن كل من الثقافة التقليدية والبرجوازية وحتى الإصلاحية بأن الأولى محور اهتمامها هو الاستثمار في الإنسان من أجل تحويله إلى كائن فاعل في مجتمعه، أو تحويل وجوده بالقوة إلى وجوده بالفعل بلغة أرسطو، وهذا يحصل عن طريق تكوين هذا الإنسان وتنقيفه، ومنه يمكن لنا الرفع من قيمة الجماهير فكريا وثقافيا وحتى سياسيا من جهة والقضاء على الفوارق الثقافية التي تحدث في المجتمع الواحد²⁴.

إن المطلوب من رجال الثقافة اليوم هو القيام بثورة حقيقية للخروج من التخلف والانحطاط إذ كان يدعو دوما إلى محاكاة الثورة الدينية التي قام بها العلامة عبد الحميد ابن باديس وهذا لأنه عرف بتأثره به كما استلهم من هذا الرائد ومنهجه الكثير من

الأفكار النهضوية و الإصلاحية وخاصة ما تعلق منها بالجانب العملي لأنه مهم بالنسبة للمجتمع الجزائري فالدعوة كانت بضرورة الابتعاد عن التجريد من جهة والدعوة إلى عدم الانعزال عن الناس ضمن الحلقات الضيقة من حلقات الفكر والحوار، إذ يجب على الأستاذ في مدرجات الجامعة وفي مختلف وسائط التبليغ أن يمارس الحوار مع أقرانه ويتحمس لأفكاره ويضع الوقائع في ميزان النقد ويخرجها من العنينة (عن فلان... عن...) والسردية الكرونولوجية²⁵.

4-خاتمة: نخلص في الأخير إلى نتيجة مهمة مع الدكتور عبد الله شريط وهي أن النهوض بهذا المجتمع وتنميته يكون عن طريق ثورة ثقافية تهز هذا المجتمع وهذا بعد تحديد الأسباب أولا وإيجاد الحل، وهذا ما قدمه لنا الدكتور شريط في مجمل أعماله الفكرية.

إن الثورة الثقافية هي أساس حدوث التنمية في المجتمع وهي بدورها تحقق للشعوب نهضة حضارية وهذا عن طريق الاهتمام بالإنسان أولا، وإيلاء الأهمية للفكر الفلسفي ثانيا ودوره في معالجة إشكالات الواقع الذي نعيشه، إلى جانب تسليطه للضوء على دور المثقف في رسم طريق النهضة وهذا بمعالجة إشكالية اللغة والهوية، وأهمية التربية والتعليم.

كما يمكننا القول أن قضية التنمية في المجتمع الجزائري لا تزال من أهم القضايا المطروحة لأن التنمية لا تقتصر على الجانب الاقتصادي فقط بل تتعداه إلى جوانب سياسية وفكرية لأبد من وجودها، لأن هدف وغاية التنمية هو رفع جودة الحياة في جميع جوانبها المادية والمعنوية وكذا الفكرية والثقافية.

5- قائمة المراجع:

عبد الله شريط، نظرية حول سياسة التعليم والتعريب، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984.

عبد الله شريط، أخلاقيات غربية في الجزائر، ط1، 1975
عبد الله شريط، منابع الفلسفة في الفكر الاشتراكي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،
الجزائر، د/ت.

عبد الله شريط، نصوص من فلسفة ابن خلدون في الاجتماع والسياسة والثقافة، المؤسسة
الوطنية للكتاب، 3، الجزائر، د/ط، د/ت.

عبد الله شريط، مع الفكر السياسي الحديث والمجهود الإصلاحية في الجزائر، الأعمال
الكاملة، المجلد 03، منشورات السهل، الجزائر، د/ط.

عبد الله شريط، مشكلة اللغة والمجتمع، مجلة الأصالة، العدد 18/17، وزارة التعليم
الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر

ابن منظور، لسان العرب، المجلد 15، دار بيروت للطباعة والنشر، لبنان، د/ط
أحمد زكي، بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، ط2، 1997
اسماعيل عبد الرحمن وحري عريقات، مفاهيم أساسية في علم الاقتصاد، عمان ط1،
1999

شوقي عبد المنعم، تنمية المجتمع وتنظيمه، مكتبة القاهرة الحديثة، ط2، 1961
طوني بينيت وآخرون، مفاتيح اصطلاحية جديدة، معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع،

ترجمة: سعيد الغانمي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2010
عبد الهادي الجوهري وآخرون، دراسات في التنمية الاجتماعية، مدخل إسلامي، الكتاب
الجامعي الحديث، الأرابيطية، 1999

مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، دار الفكر، سوريا، ط4، 1984
محمد العربي ولد خليفة، الأستاذ عبد الله شريط خصال ومنهج وأفكار، جريدة المساء،
20 أبريل 2008، <https://www.djazairress.com> elmassa، تم الاطلاع عليه

يوم: 08-09-2023 الساعة: 22:10

الهوامش والاحالات:

- ¹ - طوني بينيت وآخرون، مفاتيح اصطلاحية جديدة، معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع، ترجمة: سعيد الغانمي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2010، ص 232
- ² - حامد عامر، في بناء البشر، دراسات في التغيير الحضاري والفكر التربوي، دار العين للنشر، د/ت، ص19
- ³ - مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، دار الفكر، سوريا، ط4، 1984، ص43
- ⁴ - عبد الله شريط، نظرية حول سياسة التعليم والتعريب، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984
- ⁵ - المصدر نفسه، ص.ص 89-90
- ⁶ - ابن منظور، لسان العرب، المجلد 15، دار بيروت للطباعة والنشر، لبنان، د/ط، ص 341
- ⁷ - أحمد زكي، بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، ط2، 1997، ص 384
- ⁸ - شوقي عبد المنعم، تنمية المجتمع وتنظيمه، مكتبة القاهرة الحديثة، ط2، 1961، ص 43
- ⁹ - عبد الهادي الجوهري وآخرون، دراسات في التنمية الاجتماعية، مدخل إسلامي، الكتاب الجامعي الحديث، الأرابيطية، 1999، ص 115
- ¹⁰ - اسماعيل عبد الرحمن وحري عريقات، مفاهيم أساسية في علم الاقتصاد، عمان ط1، 1999، ص 331
- ¹¹ - عبد الله شريط، أخلاقيات غربية في الجزائر، ط1، 1975، ص 07
- ¹² - عبد الله شريط، المجلد الأول، الجزء الأول، ص333
- ¹³ - عبد الله شريط، المنابع الفلسفية في الفكر الاشتراكي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د/ت، ص06
- ¹⁴ - عبد الله شريط، المشكلة الإيديولوجية وقضايا التنمية، ص07
- ¹⁵ - عبد الله شريط، نظرية حول سياسة التعليم والتعريب، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984، ص 08

- ¹⁶ - عبد الله شريط، مشكلة اللغة والمجتمع، مجلة الأصالة، العدد 18/17، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، ص 150-151
- ¹⁷ - عبد الله شريط، من واقع الثقافة الجزائرية، ص 21
- ¹⁸ - عبد الله شريط، جواب الأستاذ عبد الله شريط حول استفتاء الندوة في مشاكل الثقافة القومية، نقلا عن شهرة درسولي، مشكلة الثقافة ومشروعية الثورة الثقافية في فلسفة عبد الله شريط، مجلة المعيار، مجلد 25، عدد: 61، 2021، ص 152
- ¹⁹ - عبد الله شريط، المشكلة الإيديولوجية وقضايا التنمية، ص 278
- ²⁰ - عبد الله شريط، نصوص من فلسفة ابن خلدون في الاجتماع والسياسة والثقافة، المؤسسة الوطنية للكتاب، 3، الجزائر، د/ط، د/ت، ص 107
- ²¹ - المصدر نفسه، ص 107
- ²² - المصدر نفسه، ص 117
- ²³ - عبد الله شريط، معركة المفاهيم، ص 277-278
- ²⁴ - عبد الله شريط، مع الفكر السياسي الحديث والمجهود الإصلاحي في الجزائر، الأعمال السهلة، الجزائر، د/ط، 2009، ص 376 الكاملة، المجلد 03، منشورات
- ²⁵ - محمد العربي ولد خليفة، الأستاذ عبد الله شريط خصال ومنهج وأفكار، جريدة المساء، 20 أبريل 2008، <https://www.djazairiss.com> elmassa، تم الاطلاع عليه يوم: 08-09-2023 الساعة: 22:10